

الكتابة الحديثة من منظور النقد الغربي والعربي

Modern writing from the perspective of Western and Arab criticism

الشيخ بوقربة²

ضالع مختارية¹

bouguerba1957@gmail.com

dala.mokhtaria@gmail.com

جامعة أحمد بن بلة 1. وهران / الجزائر

تاريخ النشر: 2020/06/01

تاريخ القبول: 2020/01/17

تاريخ الاستلام: 2019/10/04

ABSTRACT:

ملخص البحث

The purpose of this article, which is marked by modern writing from the perspective of Western and Arab criticism, it is to give a brief glimpse of the new creative writing of both Western and Arab thinkers, by presenting a series of critical views of Roland Barth, Julia Kristeva and John Paul Sartre is Western criticism, and Abdelmalek Mortad and Mohammed Bennis in Arab criticism.

Consequently, reaching the most important views that assert that writing was a radical development that made a crack within it eliminated all restrictions that served as the ideal example in the previous artistic and creative discourse.

Key words : Writing _ Creativity _ Modernity _ Scripts _ Overrids

يهدف هذا المقال إعطاء لمحة عن الكتابة الإبداعية الجديدة عند كل من المفكرين الغربيين والعرب، بطرح جملة من الآراء النقدية لكل من: رولان بارت وجوليا كريستيفا وجون بول سارتر في النقد الغربي، وعبد الملك مرتاض ومحمد بنيس في النقد العربي.

وبالتالي: فالتوصل لأهم وجهات النظر التي تؤكد على أن الكتابة عرفت تطورا جذريا جعل تصدعا بداخلها ألغى جميع القيود التي كانت بمثابة المثل الأعلى في الطرح الفني والإبداعي السابق.

الكلمات الدالة: الكتابة، الإبداع، الحداثة، النصية، التجاوز.

مقدمة:

تعد الكتابة أداة من أدوات التعبير والتفكير، ووسيلة من وسائل الاتصال والتواصل وتبادل الخبرات الإبداعية والفنية، وهي ترجمة لما يدور في عقل الكاتب والباحث، فهي عملية معقدة تبدأ برسم الحروف وكتابة للكلمات، وتنتهي بتراكيب وأفكار تعبر عن مواقف ورؤى شخصية أو قومية.

¹ المؤلف المرسل: ضالع مختارية.

فالكتابة إذن هي إعادة ترميز للغة الشفوية من خلال إعطاءها صبغة من الكلمات تحمل مدلولات عديدة خاصة عند المتلقي الذي يقوم باستنطاقها وتأويلها ما لم تقله، وبذلك تصبح الكتابة عملية مرافقة في كل الأحوال بالقراءة، فالقارئ الحديث يقرأ الكتابة الحديثة بطرق متعددة، ومن ثم فهو يزيد في تطويرها ورفقها ورفع وثيرتها.

والكتابة هي الأداة الوحيدة التي تعبر بلغة الكلمات عن المعاني الغامضة التي يطرحها النص المكتوب، وقد اعتبرها الفلاسفة الغربيين من الأساليب المظلمة "ذلك أنها تقوم على ضروب من المراوغة والرمزية التي تموه الحقائق، وقد عبر الفلاسفة عن كرههم للكتابة لأنها تدمر سلطان الحقيقة الفلسفية"¹ لها من أن تعرف تطورا وتجاوزا للمفاهيم القديمة، والخوض في الممارسة النصية الجديدة التي فرضتها التطورات الحديثة في جميع المجالات.

والإشكال المطروح هنا هو: هل الكتابة الحديثة عرفت تطورا عما كانت عليه سابقا؟ أم أنها لم تتغير؟ وهل استطاع النقاد والمنظرين الغربيين والعرب أن يضعوا لها شروطا حتى ترقى لدرج الفن والإبداع والابتكار والتطور؟ أم لم تحظى باهتمام قط؟ وهل كانت وجهات النظر لهؤلاء تتوافق مع بعضها؟ أم أنها تختلف باختلاف أفكارهم وبيئاتهم ورؤاهم؟

فالمقال الذي بين أيدينا هذا، سيتناول، إن شاء الله، مفهوم الكتابة في الدراسات النقدية باعتبارها إشكالية استوقفت العديد من المفكرين والنقاد الغربيين والعرب، ولكل من هؤلاء تصوّره للكتابة من زاوية الحداثة التي مسّت جميع الميادين الفكرية والثقافية في الوقت الذي كانت فيه الكتابة تملك وتجترما سبق، فأمام هذا كان لابد من وضع نظريات وتصورات للكتابة الحديثة تتماشى والتطور الحضاري والثقافي، ومن أبرز تلك التصورات عند النقاد الأدبيين الفرنسيين اخترنا تصوّر كل من رولان بارت وجوليا كريستيفا وجون بول سارتر، وكلّ منهم كان ينظر للكتابة من زاوية تختلف عن الآخر لكنها تتقاطع في بعض النقاط، كون الكتابة باعتبارها متنفسا لكتابتها تفتح أمامه مجالا للبحث عن الجديد الذي وإن كان لا ينفصل كثيرا عن السابق لكنه على الأقل ينطلق منه ويحاول تجاوزه إلى الأفضل. وحضيت الكتابة الحديثة عند النقاد والمنظرين العرب باهتمام كبير نظرا لكونها المقياس الأساسي للنص الإبداعي والفضاء الفني والمتنفس الأغر للكاتب الذي لا يكتمل طرحه إلا بمشاركة قارئه الذي بدوره يعيد كتابة النص بطريقته الخاصة التي من خلالها يعبر عن موقفه من الوعي المطروح، وبالتالي يعدّ ناقدا وناطقا بدلالات ومعاني لم يفصح عنها الكاتب، وكأنّه يكمل ما بدأ الكاتب بكتابته، ويملأ الفراغ الموجود، ويستنطق المسكوت عنه، ومن ثم كانت الكتابة والقراءة بمثابة صفحتي الورقة التي لا نستطيع الفصل بينهما، فلا تكتمل الكتابة إلا بالقراءة، ولن تكون قراءة إلا بوجود كتابة، ويشترط في القراءة أن تكون واعية وعيا تاما بمحتويات ومضامين الكتابة و إلا كان هناك شرح كبير في حلّ شفرات النص المطروح، وخلل في وعي مضامينه. ومنه كان هدف بحثنا. هذا هو الوقوف عند أبرز المحطات النظرية للكتابة الحديثة، وأخذ لمحة وجيزة عن أهمّ الرؤى التي كانت بمثابة عتبة للوصول بالكتابة إلى أعلى درجات الرقي، وإرساء قواعد جديدة لها حتى لا تنعت بالمحاكاة.

مفهوم الكتابة في الدراسات النقدية :

1.2 عند الغرب :

2.2 تصوّر رولان بارت للكتابة :

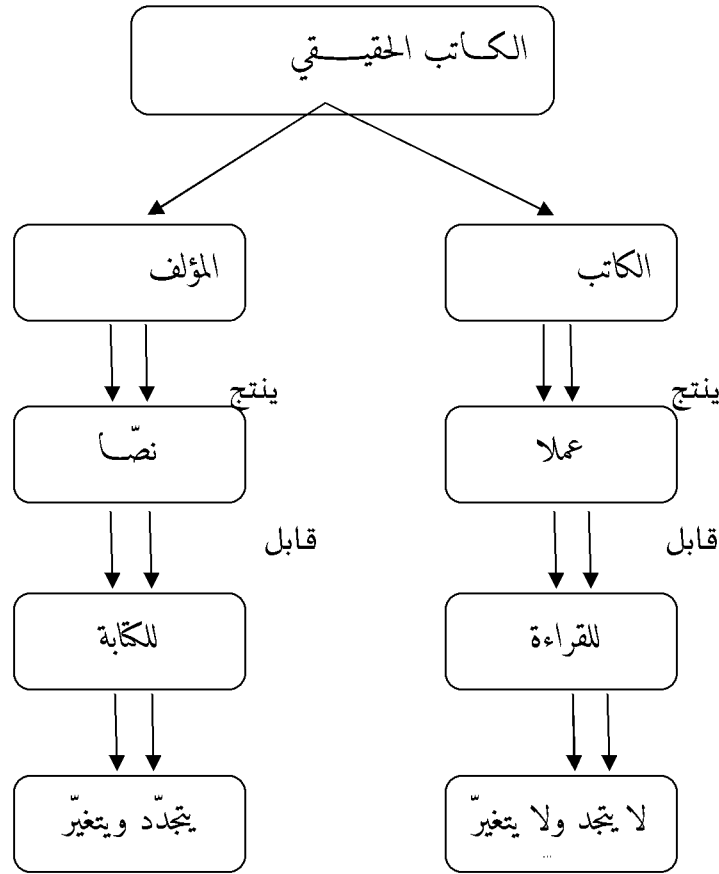
أعى رولان بارت . في كتابه الأول "درجة الصّفر في الكتابة" و الذي نشره عام 1953 . نظرة إستمولوجيّة جديدة عمّا كانت عليه، وفيه يعيد تأويل الإشكاليّة التي طرحها جون بول سارتر عن مسؤوليّة الكاتب والتزامه، فلم يعد التزامه بالقضايا العامّة ضروريًا وإنما الأهمّ هو تفجير اللّغة من الدّاخل وإعطائها ملامح ودلالات جديدة ومتجدّدة قابلة للنقد والتّأويل والقراءة .

فالكتابة عند رولان بارت "منغرسّة على الدّوام فيما وراء اللّغة ، تنمو كبذرة لا كخطّ، وهي ترعب، وسنجد بالتالي في كلّ كتابة غموض شيء هو في الوقت ذاته لغة وإكراها، إذ يوجد في الكتابة «ظرف» خارجيّ على اللّغة، فهناك ما يشبه نظرة نيّة ليست هي نظرة اللّغة، يمكن لهذه النّظرة أن تكون أيضًا بكلّ بساطة ولعا باللّغة كما في الكتابة الأدبيّة، ويمكن أيضًا أن تكون تهديدًا بعقوبة كما في الكتابة السّيّاسيّة، فالكتابة مطالبة منذ ذلك بالالتحاق مباشرة بواقع الأفعال ومثاليّة الغايات"²

وعليه، يشير رولان بارت أنّ الكتابة ذات وصلة وطيدة بواقع الأفعال، ويقصد بذلك أنّ الكتابة تجسّد ولعا وهلوسة وخيالًا وتلذّذاً يعبر عن ذاتيّة الكاتب الذي يستمتع بلذّة الكتابة وحركيّة الإبداع وإثراء فضاء المتعة للقارئ ، هذه الكتابة التي أسماها رولان بارت بـ : "علم متعة الكلام"³ في كتابه الآخر الذي هو بعنوان " لذّة النّص" . فالقارئ عنده هو أحد منتجي النّصّ وأحد المساهمين في إبداعه، فلذّة الكتابة ذات صلة بنفسيّة الكاتب، وما يعانيه من صراعات داخلية توقظ فيه روح الإبداع، وتخلق عنده لغة جديدة تثري الرّصيد الثّقافيّ وتحطّم الأشكال اللّغويّة السّائدة . رغم ذلك فالكتابة تمثّل أحيانًا تهديدًا بعقوبة لما تحويه من دلالات ومفاهيم سياسيّة توجي لنا بالعديد من الأوضاع . السّلبية كانت أو الإيجابية . التي يعاني منها محيط الكاتب أو قوميّته ، فتصبح الكتابة مثلاً بنية فوقيّة للتحث المانع السّائل داخل سياسة الثّروة التي يقصد بها إلياس خوري في كتابه الذاكرة المفقودة " أزمة النّفط" .⁴

وقد أشار رولان بارت أيضًا في ذات قوله : إلى أنّ الكتابة «ترعب» لما تحويه من غموض ودسائس قابلة للانفجار في أيّ وقت، حيث تخبئ إيديولوجيات مختلفة توجي بمفاهيم ورؤى معيّنة، تصبغ الكتابة بملامح وممارسات نصيّة تحتوي على تعابير خاصّة وعمل أدبيّ مستقل عن التّعابير والتّجارب الإبداعية السّابقة ، يخرق بها ما كان ، ويأتي بما سيكون من تراكيب جديدة للكتابة كمحتمل شعريّ فريد من نوعه .

ويعترف بارت في غير موضع من كتابه « الدّرجة الصفر من الكتابة » « بأنّ الكاتب الحقيقي هو خليط من الكاتب والمؤلّف ، ولكن هذا التّدخل ليس مانعًا للتمييز بينهما، على أساس أنّ المؤلّف ينتج نصًا بينما لا ينتج الكاتب إلاّ عملاً ، والنّصّ هو الذي يستحقّ الاهتمام لأنّه هو قابل للكتابة لأنّ القارئ يعيد كتابته أثناء قراءته له . يستكتب Scriptible أمّا العمل الذي ينتجه الكاتب فهو قابل للقراءة فقط Lisible »⁵ . وقول رولان بارت . هذا . سنشرحه بالمخطّط الآتي للتّوضيح :

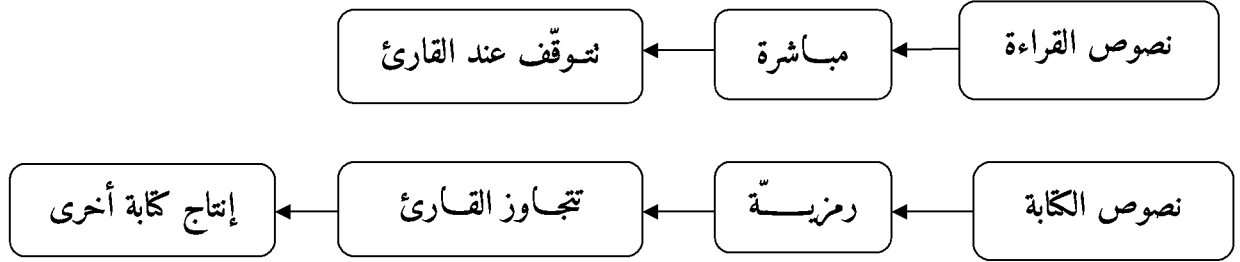


فالكتابة عند بارت هي بقايا الأشياء الفقيرة والهزيلة للأشياء الرائعة والجميلة في داخلنا ، فالفكرة التي نادى بها بارت وهي موت المؤلف ما هي إلا عملية تحرير النصّ من سلطة الكاتب وربطه بسلطة قارئه، فهو يمنح القارئ مهمة جديدة ومسؤولية كبيرة اتجاه النصّ المكتوب أمامه، وبهذا يجعل بارت القارئ هو صاحب النصّ وليس مؤلفه لأنه لا وجود لكاتب دون وجود لقارئ لكتابات، فبحلّ القارئ لشفرات النصّ الأدبيّ وكشفه لمعانيه ومدلولاته يصل بالكتابة إلى اللذة والمتعة والولع. ويميّز بارت في كتابه همس اللغة بين صنفين من النصوص La bruissment de la langue⁶.

يوضّحها على النّحو الآتي

نصوص الكتابة	نصوص القراءة
وهي نصوص يمكن للقارئ أن يعود إليها أكثر من مرّة ليعيد كتابتها مع كلّ عودة جديدة، لأنّها ذات طبيعة رمزية.	وهي نصوص يستهلكها القارئ مرّة واحدة، ولا يعود إليها لأنّها ذات مقصد مباشر.

فتصوّر بارت هذا للكتابة سنوضحه أكثر بالمخطط الآتي :



وبالتالي فإنّ رولان بارت " يؤكّد بشدّة على المعادلة المثمرة بين القراءة والكتابة ، ذلك أنّ الاحتفاء بالقارئ بوصفه منتج للنّصّ يناظره وصف للنّصّ باعتباره القوّة المسيطرة في تلك اللّقاءات ، والنتيجة هي تركيز الانتباه على هذا التّفاعل مع الحيلولة دون تبني وجهة نظر من شأنها أن تشجّع على الاستقصاء المنهجي⁷ .

3.2 تصوّر جوليا كريستيفا للكتابة:

أمّا جوليا كريستيفا فتعتبر أنّ مفهوم الكتابة ينبع من القول بتداخل النّصوص، فالكتابة باعتبارها عملاً إبداعياً وثقافياً ؛ فهي تأخذ العديد من الأفكار والمعاني من الإبداعات السابقة ثمّ تجعلها في وعاء جديد بتوظيف جديد وكتابة جديدة ، وتنظر جوليا كريستيفا إلى النّصّ " على أنّه ضرب من التّلاقي أو التّواشيح بين البنية النّصّية الظّاهرة والبنية التّاريخيّة أو الإجماعيّة الباطنيّة وانتهت إلى أنّ الحواريّة ليست نتيجة من نتائج الكتابة وحدها بل هي نتيجة من نتائج الحياة برمّتها⁸ " وتؤكد جوليا كريستيفا أنّ الكتابة هي دائماً نسيج من الإيديولوجيات والقيم الاجتماعيّة الرّاهنة للكاتب أو السابقة له الّتي يكون قد اطّلع عليها وقرأها من قبل . " وتدين جوليا كريستيفا لبارت باعتماده مصطلح الكتابة لمعالجة خصوصيّة الممارسة الأدبيّة ، وهي نفسها تعترف له بالفضل حين تعدّه رائد ومؤسّس الدّراسات الحديثة في الأدب⁹ .

وتمزج جوليا كريستيفا الكتابة بالقراءة ؛ ذلك أنّ الكتابة عبارة عن قراءة قد تحوّلت إلى إنتاج وصناعة أيّة قراءة للمدونة الأدبيّة السابقة والمعاصرة ممّا يجعل من النّصّ حواراً ، أو " خطاباً يخترق حالياً وجه العلم ، والإيديولوجيا ، والسياسة وينقطع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها ، ومن حيث هو خطاب متعدّد ، وتعدّد اللّسان أحياناً ، وتعدّد الأصوات حالياً ، من خلال تعدّد أنماط الملفوظات الّتي تقوم بمفصلتها يقوم النّصّ باستحضار كتابة ذلك البلور الّذي هو مجمل الدّلالة المأخوذة في نقطة معيّنة من لا تناهيها¹⁰ .

4.2 تصوّر جون بول سارتر للكتابة:

طرح جون بول سارتر مجموعة من التساؤلات . حول مفهوم الكتابة في كتابه ما الأدب ؟ . هي : ما هي الكتابة ؟ ولماذا نكتب ؟ ولمن نكتب ؟ ، فرأى أنّ الكتابة لا تتحقّق إلّا بوجود قارئ وإلّا أصبحت مجرد رموز صماء لا فائدة منها. كما رأى أنّ القارئ له أهميّة كبيرة لا تقل عن أهميّة الكاتب : لأنّه أحيانا يبدع أكثر منه ويعيد قراءة النصّ قراءة جديدة ، فيزيد في مضاعفة حجم الكتابة ويثري في طرحها ، فيتوقّع ويغيّر وينقد انطلاقاً من ذلك النصّ فيجعل منه نصّاً آخرًا جديدًا مفتوحاً أيضاً على عدّة قراءات ممّا يضفي سمة الاستمراريّة والإبداع الفنيّ ، إذ "لا يمكن للقارئ في انطلاقه المستمر لصوت النصّ إلّا أن يكون حرّاً محكوماً عليه بالحرية مثل الإنسان الوجودي ، فالنصّ باعتباره بداية مطلقة ، ومشروعاً مفتوحاً يحتاج باستمرار إلى ما يكمله على أحسن وجه ، خاضع لتأثير حرية القارئ بأقصى ما في هذه الحرية من شفافية . إنّ للقارئ حرية صرفة وقدرة خلاقة محضة ، فعالية غير مشروطة ، وهو في ذلك لا يختلف عن الكاتب " ¹¹ .

ويحدّد جون بول سارتر. أيضاً . مجال الالتزام في الكتابة ، إذ يقول: "الرّسم والنحت والموسيقى لا يمكن أن تكون ملتزمة بالأدب ، إذ لا يحال برسومها وأشكالها وأنغامها على مدلول آخر كما هي حال الأدب، المعاني لا تُرسم ولا توضع في ألحان ، على حين ينحصر جهد الكاتب في الإعراب عن المعاني ، ميدان المعاني هو النثر ، فالشّعر والرّسم والنحت والموسيقى لا يقبل الالتزام ، البحث عن الحقيقة لا يتمّ إلّا باستخدام اللغة أداة " ¹² .

فجون بول سارتر يعطي للكتابة بعداً آخر غير محدّد بزمن بل هو مفتوح أمام عدّة قراءات وكتابات أخرى، يتجاوز بها نحو المستقبل وبالتالي تصبح الكتابة عنده عملية كشف؛ والكشف هنا هو التّغيير.

3. عند العرب

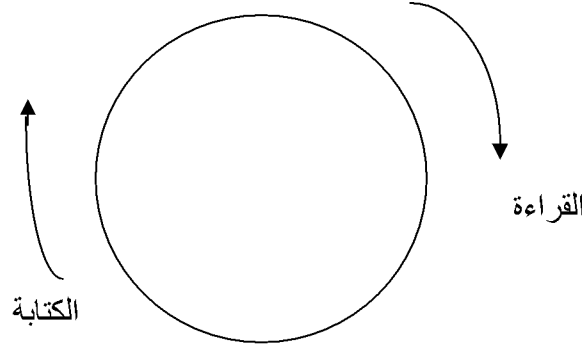
1.3 تصوّر عبد المالك مرتاض للكتابة :

يعرّف الدكتور عبد المالك مرتاض الكتابة على أنّها " جمال مذاب على قرطاس ، وسرّ متدفق على صفحة ورق ، وعالم صامت وفضاء عجائبيّ تفكّ رموزه ومغاليقه بفعل القراءة الواعية الجيدة الخيرة المتسلّحة بأدوات منهجيّة مضبوطة " ¹³ .

فمن خلال التعريف السابق يؤكّد عبد المالك مرتاض على العلاقة الموجودة بين القراءة والكتابة ، ويرى أنّ القراءة الجيدة ذات المقاييس المنهجية والوعي الخبير المحكم ، يساهم في بناء النصّ؛ لأنّ القراءة تجعل من الكتابة فضاءً ذو دلالات ومعانيٍ لانهائيةٍ ومتعدّدة ، وبالتالي يصبح النصّ ناطقاً يبحث عمّا يوجد خلف سطور الكتابة ، ويحرّرها من قيود الغموض لينتج عالماً آخرًا من المعرفة الفنية أكثر وضوحاً وحرية .

"فالقراءة تنهض على مقروء، وينهض هذا المقروء أو القراءة على مكتوب؛ أيّ على كتابة، وهذه الكتابة تنهض على تخيل، وهذا التّخيل ينهض على قراءة بيضاء أو داخلية لهذا التّخيل الذي ينبثق في مخيلة المبدع وهو يفرغ النصّ على القرطاس ، فعلاقة القراءة بالكتابة علاقة الجسد بالروح ، وعلاقة الوجود بالوجود ، والعلة بالمعلول " ¹⁴ .

ومن ثمّ تشكّل القراءة والكتابة معا علاقة وطيدة تتمثّل في حركة دورا نية غير منتهية ، فكلّما اكتملت الكتابة بدأت القراءة ، وكلّما اكتملت القراءة بدأت الكتابة وهكذا .



" فالقراءة هي نقد تليق به ممارسة دالة وهي الكتابة " ¹⁵ .

أمّا الكتابة فهي نتيجة حتمية لتلك القراءة ، وهو ما أكّد عليه الدكتور عبد المالك مرتاض ، ورأى بأنّ لابدّ أن تتصف بسمة التحليل الجاد وليس " تسجيلا مسترسلا لجملة من الملاحظات ، إذ هي عراك مع اللغة أولا ، وشحن لها حتّى تتسع لضّمّ شعث الآراء ، وهي عراك مع الآخرين وما يطلبونه منها ، فتتحمّس فهم ما يجب أن يقال جهره وصراحة ، وما يجب التّكنية عنه ، وما يترك في غموض يحتمل هذا وذلك وما يسكت عنه وما يترك للمجال النصّي يرفضه ويشير إليه " ¹⁶ .

فالكتابة بهذا المفهوم هي عبارة عن أداة تستنطق ما يقوله الآخرون وما يسكتون عنه، وبالتالي هي تجعل من النصّ فضاءً يستوجب القراءة التي تؤوّل تلك اللغة إلى معاني أكثر جدّة وإبداع ؛ وهذا يعني أنّ الكتابة دون قراءة جمود دون حركة، وهو ما أكّد عليه الدكتور عبد المالك مرتاض ، حين قال : " إنّ الكتابة جسم دون روح ، إنّها جثة باردة هامدة حتّى تقرأ ، فقرأتها هي روحها ، وروحها هي حياتها ، فحياة الكتابة تكمن في قراءتها " ¹⁷ .

ويوضح عبد المالك مرتاض أكثر فن الكتابة عل أنّها سمة مرئية لأخرى خفية في قوله : " فأن تكتب ، فإنّما أنت تعبّر عمّا تقرأ في ضميرك ، وتترجم عمّا في جنانك ، وتحوّل حمولة القريحة غير المرئية إلى مشحونات من السّمات مرقونة في شكل أسطار ممتدّة على قرطاس : تحوّلها إلى سمات مرئية ، فسمة الكتابة ليست إلّا ممثلا ، أو أيقونة (Icône) بحيث هي في حقيقتها سمة حاضرة ، تجسّد سمة غائبة ، فليست السّمة المرئية (الكتابة) إلّا سمة خفية قراءة الكتابة الأولى الضمنية الكاملة في القريحة " ¹⁸ .

ويشير الدكتور عبد المالك مرتاض إلى فكرة أخرى تتعلّق بمهمّة الكاتب الذي يخلق الكتابة (اللغة) ، فلولا الكاتب وتقديمه للنصّ المطروح ، وخوضه مغامرة التّجديد لما كانت قراءة بالأساس ، ولما كان هناك قارئ يقرأ ، فالكاتب له فضل الإنتاج وفضل الطّرح وفضل التّقديم وفضل التّحرير ، ومن ثمّ كانت على عاتقه مهمّة اختيار الألفاظ ، واقتناء الكلمات ، وإنشاء

كتابة تختلف عن السابقة، والتعريف بالجديد . ذلك وإن صحَّ القول فإنَّ الكتابة هي ملك للكاتب ، أمَّا القارئ فيأتي في المرتبة الثانية حين يجعل من تلك الكتابة لغة أخرى وكلمات أخرى بعد الدِّراسة والنَّقد ، حيث يقول عبد المالك مرتاض في هذا الصِّدد : " اللغة ... ملك للكاتب ، يصرف ألفاظها كيف يشاء ، والمشية هنا مرتبطة بفهمنا لما يريد من وراء هذه الألفاظ ، ويستعملها استعمالات جديدة ، ويبعث في ثناياها مفاهيم جديدة ، لم تكن معروفة لدى النَّاس من ذي قبل ، وهذا هو الفرق بين الكاتب القدير ، وبين الكاتب البسيط ، أو الكاتب المقلِّد ، وليس الابتكار في المضمون وحده ، ولكن في المفاهيم والمداليل للألفاظ " ¹⁹ .

وقد تجاوزت فكرة العلاقة الوطيدة بين القراء والكتابة عند الدِّكتور عبد المالك مرتاض ، إلى ما ينجرُّ عنها من علاقة بين القارئ والكاتب رغم بعد كلِّ الاحتمالات في العلاقة التي تربط بينهما ، حيث يقول: "وإذا كان الكاتب في كثير من الأطوار لا يعرف قارئه ، وإذا كان القارئ في معظم الأطوار لا يعرف كاتبه: فما صلة الوصل بينهما ؟ لعلَّ هذه الصِّلة أن تتجسّد في الكتابة التي تحلَّ محلَّ الكاتب ، والقراءة التي تحلَّ محلَّ القارئ ، فالكتابة والقراءة هما اللتان تكوِّنان علاقة تعرف بينهما في غياب معرفة الكاتب لقارئه والقارئ لكاتبه" ²⁰ .

فالدِّكتور عبد المالك مرتاض يحاول أن يجد صلة الوصل بين شيئين ماديين هما القراءة والكتابة، مستبعدا وجود شيئين معنويين هما القارئ والكاتب ؛ ذلك أنَّه يختار المرحلة اللاحقة ويبعد السابقة ؛ أي مرحلة الإنجاز إلى النتيجة ، لأنَّ بهذه الأخيرة يحصل ما يسمَّى بالحلقة الدَّورانية لكلِّ من الكتابة والقراءة ، وبالتالي هي " محاولة تجعل من النَّصِّ ليس فضاء تعبيريا وإنما فضاء افتتان ، وبهذه الطريقة يمكن القضاء على السَّأم والضَّجر الذي يشعر به القارئ أمام النَّصِّ الحديث (المطلسم) ، لأنَّهم في هذه اللَّحظة سيكفون عن التَّلقي ليشاركوا في الإنتاج " ²¹ .

2.3 تصوّر محمّد بنيس للكتابة :

الكتابة الحديثة راهنت على تغيير أطر بناء النَّصِّ الشعريِّ الجديد ، فحاولت استبدال البيت التقليديِّ بآخر ، متحرِّرة من قيود الوزن والإيقاع وحتى من المقدمات الطَّلالية التي كانت تسيطر على الممارسة النَّصِّية . ومن ثمَّ سعى المفكِّرون المعاصرون إلى إيجاد بديل تنظيريٍّ لهذه الممارسة ومن بينهم محمّد بنيس ؛ إذ يرى الكتابة على أنَّها : " ممارسة لغويّة ذات بعد أنطولوجيِّ اجتماعيِّ تاريخيِّ ... وهذه المجالات التي تتحرَّك فيها ومن خلالها الكتابة مركّزة لانفتاح الكتابة ولا محدوديّة أفقيًا ، فإذا كانت بعض الممارسات الشعريّة الحديثة في الوطن العربيِّ قد ركّزت على مجال واحد من هذه المجالات الثلاثة ؛ فإنَّ الكتابة تبتعد عن الرؤية الواحديّة لمجال الممارسة وتندمج في رؤيا تتكامل عبر عمليّة تفاعل جدليٍّ بين هذه المجالات في ظلِّ الاقتناع بالمغامرة والنَّقد والتَّحرُّر وتجنّب والتَّجربة والممارسة ؛ أي أنَّ الكتابة تلتحم وتتولّد من خلال الملموس ، والعيانيِّ والمرئيِّ في الوقت نفسه المنسيِّ والسَّريِّ ، كما تفسح للمكتوب حريّة الكلام " ²² .

وعليه ، فالكتابة عند محمد بنيس " تكسب مفاهيم التطور والتغير والتجاوز ، كفرضيات لانتقال الشعر العربي ... فالتطور يناقض الجمود ... أما التغير فيكون إلى الشكل الشعري الذي انفصل عن مضمون اجتماعي ... أما التجاوز فهو إعادة النظر إلى الإنسان والأشياء والكون ".²³

فهذه الفرضيات التي طرحها نظرية بنيس حول الكتابة تجعل من الشعر الحديث قفزة نحو إبداع جديد لا يقف أمام لحظة واحدة ، وإنما يتجاوزها إلى الابتكار الدائم والمستمر الذي لا يضع قيودا للكتابة ، بل يسعى دائما إلى تطويرها والعمل على تجديدها دون كلل ، خوفا من اندثارها لأن " الكتابة الحديثة تعيش هاجس الزمن بقلق من يقترب من نهايته ".²⁴

خاتمة :

الكتابة هي سلسلة من الإشارات المتتالية ، التي تحدث التواصل بين أفراد المجتمع ، تشمل العديد من الإحياءات والغموض والخيال والتلذذ والهلوسة ، وهذا ما ذكره النقد الغربي بطرح رولان بارت . وقد أشارت جوليا كريستيفا إلى أن بؤرة الإبداع في الكتابة تكمن في تداخل النصوص وتناصها وتعالقها فيما بينها . في حين رأى جون بول سارتر أن للقارئ أهمية لا تقل عن أهمية الكاتب المنتج للنص : باعتباره مبدعا وكاتباً لنص جديد استوحاه من النص المقروء .

أما النقد العربي وبالدات عند عبد المالك مرتاض قد طرح فكرة العلاقة الوطيدة بين القراءة والكتابة ؛ بحيث لا تكتمل الكتابة إلا بالقراءة والعكس صحيح ، أما محمد بنيس فيرى أن الكتابة لا بد له من أن تعرف تطورا وتجاوزا للمفاهيم القديمة ، والخوض في الممارسة النصية الجديدة .

وبالتالي فإن التصور النقدي للكتابة الحديثة ، عرف عدة نظريات غربية وعربية ، كانت كلها تصب في وعاء واحد ، وتهتف بفكرة واحدة مفادها أن الكتابة معرفة فنية وفكرية تتسم بسمة التجديد ، فهي لن تصبح بناء فنياً إلا إذا تجددت دائما . والخوض في مغامرة التجديد في الكتابة يتطلب من المبدع اختراق الزمن والتجاوز إلى ما وراء اللغة ، حيث تحدث نوعا من الفجائية لدى القارئ ، وبالتالي تخلق لديه قلقا يجبره على فتح شفراتها والغوص في مكانها ، وهنا كانت بؤرة التطور والتحول الذي عرفته الكتابة الحديثة حينما أقحمت القارئ في المشاركة الإبداعية للنص .

ومن ثم كانت الكتابة تحمل عدة ملامح ودلالات قابلة للتأويل وترتكز على عدة معطيات فكرية وإيديولوجية تسعى إلى أن تكون شاملة في طرحها وفعالة في استمراريتها وتحررها من القيود المعرفية السابقة وإصباغها بروح أكثر إبداعا ، وبالتالي التأسيس المعرفي لخطة حكمت على النتاج والتجربة النصية السابقة بالهزيمة .

الهوامش :

1. سيلدن رومان ، النظرية الأدبية المعاصرة ، ترجمة : سعيد الغانمي ، دار فارس للنشر والتوزيع ، المغرب ، ط 1 ، 1996 ، ص 137.

2. Barthes Roland , Le degré zéro de l'écriture coll. Poi , p 18_19.

3. بارت رولان ، لذة النص ، ترجمة : منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، (د ، ط) ، 1992 ، ص 25.

4. خوري إلياس ، الذاكرة المفقودة . دراسات نقدية . مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1982 ، ص 56.

5. بارت رولان ،درجة الصفر من الكتابة ، ترجمة : محمد نديم خشفة ، مركز الإنماء الحضاري ، (د ، ط) ، 2009، ص84.
6. بارت رولان ، الكتابة والقراءة ، ترجمة : عبد الرحيم حزل، ط 1 ، 1993 ، ص93.
7. كولر جوناثان ، رولان بارت . مقدّمة قصيرة جدا . ترجمة : سامح سمير فرح ، مراجعة: محمد فتحي خضر ، مؤسسة هندايو للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر، ط 1، 2016، ص 106.
8. محمود المصفار،التناص بين الرؤية والإجراء في النقد . مقارنة محاثية للسّرقات الأدبية عند العرب مطبعة النّسفير، صفاقس ، (د، ط)، ص 39.
9. Kristeva Julia , Poly logue, Paris,1977,p 24
10. جوليا كريستيفا ، علم النصّ ، ترجمة : فريد الزّاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دارتوبقال ، سلسلة المعرفة الأدبية ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط 1، 1997، ص 13.
11. بن خدو رشيد ، العلاقة بين القارئ والنّصّ في التفكير الأدبي المعاصر ، مجلّة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، العدد الأوّل ، والثاني 1994، ص 475. 12. سارتر جون بول، 1990 ، ما الأدب ؟ ترجمة : محمد غنيهي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، مصر، (د ، ط) 1990، ص 9.
13. عبد مالك مرتاض ، الكتابة من موقع العدم . مساءلات حول نظرية الكتابة . سلسلة كتاب الرياض 61. 62 مؤسسة اليمامة الصحّفية، الرياض ، السعودية، (د ، ط) ، 1998، ص 165.166.
14. عبد المالك مرتاض ، نظرية القراءة . تأسيس للنّظرية العامّة للقراءة الأدبية . دار الغرب للنّشر والتّوزيع ، وهران، الجزائر، (د ، ط) ، 2003، ص 147.
15. بن عودة بختي ، ظاهرة الكتابة في النّقد الجديد . مقارنة تأويلية . الخطيبي نمودجا ، دار الأديب للنّشر والتّوزيع ، وهران ، الجزائر، (د ، ط)، 2005، ص 90 .
16. حبيب مونسي ، فعل القراءة . النّشأة والتّحوّل . مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد المالك مرتاض، منشورات دار الأديب ، وهران ، الجزائر، (د ، ط)، 2001، ص 23. 24.
17. عبد المالك مرتاض ، نظرية القراءة . تأسيس للنّظرية العامّة للقراءة الأدبية . مرجع سابق ، ص 150.
18. عبد المالك مرتاض، في نظرية النّقد متابعة لأهمّ المدارس النّقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها ، دار هومة ، الجزائر، (د، ط) ، 2005، ص 5.
19. عبد المالك مرتاض، القصّة في الأدب العربيّ القديم ، دار مكتبة الشّركة الجزائرية ، الجزائر، ط 1 ، 1968، ص 202.
20. عبد المالك مرتاض ، نظرية القراءة . تأسيس للنّظرية العامّة للقراءة الأدبية . مرجع سابق ، ص 150.
21. عمر أوكان ، مدخل لدراسة النصّ والسّلطة ، أفريقيا الشّرق ، المغرب ، ط 2 ، 1994، ص 74.
22. محمّد بنيس ، الكتابة الشعريّة مشروع لم يتأسّس بعد في المغرب ، مجلّة أصوات ثقافية من المغرب العربيّ، دار العالمية للطباعة والنّشر والتّوزيع ، لبنان ، ط 1، 1984، ص 67 .
23. محمّد بنيس ، مساءلة الحداثّة ، دارتوبقال ، المغرب ، ط 2، 2001، ص 62 .
24. وليام راي ، المعنى الأدبيّ من الظّهانية ، إلى التّفكيكية ، ترجمة : د . يوثيل يوسف عزيز، دار المأمون ، بغداد ، ط 1 ، 1987، ص 125 .